السيدة عائشة ـ رضي الله عنها ـ زوجة

كانت حياة نبينا ﷺ من أروع وأجمل الأمثلة في التاريخ الإنساني للزوج المثالي، وفي هذا الفصل نستعرض للعديد من المواقف الرائعة لأجمل قصص الحب في التاريخ الإنساني والتي جمعت بين نبينا محمد والسيدة عائشة ـ رضي الله عنها ـ فكانت أحب خلق الله إلى قلبه، يسأله عمرو بن العاص ـ رضي الله عنه ـ، وكان قد بَعَثَهُ على جَيْشِ ذَاتِ السَّلاَسِلِ. فيقول: أَيُّ النَّاسِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ «عَائِشَةُ» قُلْتُ: مِنَ الرِّجَالِ؟ قَالَ: «أَبُوها» قُلْتُ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: «عُمَرُ» فَعَدَّ رِجَالاً»[1].

مواقف من حياة السيدة عائشة ـ رضي الله عنها ـ في بيت خاتم الأنبياء والرسل:

- عَنْ عَائِشَةَ ـ رضي الله عنها ـ، قَالَتْ: «كُنْتُ أَشْرَبُ وَأَنَا حَائِضٌ. ثُمَّ أُنَاوِلُهُ النَّبِيَّ ﷺ فَيَضَعُ فَاهُ عَلَى مَوْضِعِ يَّ، فَيَشْرَبُ وَأَتَعَرَّقُ الْعَرْقَ وَأَنَا حَائِضٌ، ثُمَّ أُنَاوِلُهُ النَّبِيَّ ﷺ فَيَضَعُ فَاهُ عَلَى مَوْضِعِ يَّ»[2].

---

(1) أخرجه مسلم، كتاب فضائل الصحابة ـ رضي الله عنهم، باب: من فضائل أبي بكر الصديق ﷺ، حديث رقم: 2384 وأخرجه البخاري، كتاب: فضائل الصحابة، باب: قول النبي ﷺ سدوا الأبواب إلا باب أبي بكر، برقم: 3662.

(2) متفق عليه،أخرجه مسلم، كتاب: الحَيْض باب: جواز غسل الحائض رأس زوجها وترجيله حديث رقم: 300، وأخرجه أحمد، برقم: 23957، والدارمي كتاب : الصلاة والطهارة برقم: 1066، إلا أنه قال: ثُمَّ يأمُرُنِي فأتَّزِرُ وأنَا حائضٌ وَكَانَ يُبَاشِرُني، والنسائي في الصغرى برقم: 70، وابن خزيمة، كتاب الطهارة برقم: 111، وابن حبان برقم: 1338، والبيهقي في السنن برقم: 1526، وجامع الأحاديث والمراسيل برقم: 1526.

وقولها: «وَأَتَعَرَّقُ الْعَرْقَ» بفتح العين وإسكان الراء هو العظم الذي عليه بقية من لحم، هذا هو الأشهر في معناه. وقال أبو عبيد: هو القدر من اللحم. وقال الخليل: هو العظم بلا لحم وجمعه عراق بضم العين، ويقال: عرقت العظم وتعرقته واعترقته إذا أخذت عنه اللحم بأسنانك؛ والله أعلم[1].

- عن هِشَامِ بنِ عُرْوَةَ عن أبيهِ وَعن أبي سَلَمَةَ عن عَائشةَ ـ رضي الله عنها ـ: « أنَّهَا كَانَتْ مَعَ النَّبيِّ ﷺ في سَفَر، قالَتْ: فَسَابَقْتُهُ فَسَبَقْتُهُ عَلَى رِجْلَيَّ، فَلَمَّا حَمَلْتُ اللَّحْمَ سَابَقْتُهُ فَسَبَقَنِي فقال: هذِهِ بِتِلْكَ السَّبْقَةِ»[2].

«فَسَابَقْتُه» أي غالبته في السبق أي في العدو والجري «فَسَبَقْتُهُ»: أي غلبته وتقدمت عليه، «على رجلي»: أي لا على دابة «فَلَمَّا حَمَلْتُ اللَّحْمَ»: أي سمنت، «سَابَقْتُهُ»: أي مرة أخرى، «هذِهِ»: أي هذه السبقة، والمعنى :تقدمي عليك في هذه النوبة مقابل تقدمك في النوبة الأولى[3].

- عن هشامٌ عن أبيهِ عن عائشةَ ـ رضيَ الله عنها ـ، قالت: «كُنْتُ أَلْعَبُ بالبَنَاتِ عندَ النبي ﷺ، وكان لي صَواحبُ يَلْعبنَ معي، فكان رسولُ الله ﷺ إذا دخل يَتَقَمَّعْنَ منه، فيُسَرِّبُهُنَّ إليَّ فيلعَبْنَ معي »[4].

---

(1) شرح النووي لصحيح مسلم .

(2) أخرجه أبو داوُد في سننه، كتاب: الجهاد، باب : في السبق على الرجل، حديث رقم: 2579.

(3) عون المعبود ج7 ص243.

(4) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: الأدب، باب: الِانْبِسَاطِ إِلَى النَّاس، حديث رقم: 6130، اعتنى به أبو صُهَيب الكرمي مرقمة بترقيم الشيخ/محمد فؤاد عبدالباقي - رحمه الله - سنة 1419هـ - 1998م.

وعنها أيضاً قَالَتْ: «قَدِمَ رَسُولُ اللّه ﷺ مِنْ غَزْوَةِ تَبُوكَ أَوْ خَيْبَرَ وَفِي سَهْوَتِهَا[1] سِتْرٌ فَهَبَّتِ رِّيحٌ فَكَشَفَتْ نَاحِيَةَ السِّتْرِ عَنْ بَنَاتٍ لِعَائِشَةَ لُعَبٍ، فقَالَ مَا هذَا يَا عَائِشَةُ؟ قالَتْ بَنَاتِي، وَرَأَى بَيْنَهُنَّ فَرَسًا لَهُ جَنَاحَانِ مِنْ رِقَاعٍ، فقَالَ مَا هذَا الَّذِي أَرَى وَسْطَهُنَّ؟ قَالَتْ: فَرَسٌ، قَالَ وَمَا هذَا الَّذِي عَلَيْهِ؟ قُلْتُ جَنَاحَانِ، قَالَ فَرَسٌ لَهُ جَنَاحَانِ؟ قَالَتْ: أَمَا سَمِعْتَ أَنَّ لِسُلَيْمَانَ خَيْلاً لَهَا أَجْنِحَةٌ؟! قَالَتْ: فَضَحِكَ رَسُولُ اللّه ﷺ حَتَّى رَأَيْتُ نَوَاجِذَهُ»[2].

وبالعودة الحديث الأول:

نجد أن معنى «يَتَقَمَّعْنَ» يتغيبن حياء منه وهيبة، «فيُسَرِّبُهُنَّ». بتشديد الراء أي يرسلهن وهذا من لطفه ﷺ وحسن معاشرته، ومعناه أنهن يتغيبن منه وتدخل من وراء الستر، وأصله من قمع التمرة أي يدخلن في الستر كما يدخلن التمرة في قمعها، وقوله: «فيُسَرِّبُهُنَّ إليَّ» بسين مهملة ثم موحدة أي يرسلهن.

---

(1) السهوة: قيل هي شَبيهٌ بالرَّفِّ والطاقِ يوضع فيه الشيءُ وقيل هي بيت صغيرٌ مُنحَدِرٌ في الأَرض سَمْكُه مرتَفِعٌ في السماء شبيهٌ بالخِزانة الصغيرة يكون فيها المَتاعُ، وذكر أَبو عبيد أَنه سمِعَه من غير واحد من أَهل اليمن وقيل هي أَربعةُ أَعوادٍ أَو ثلاثةٌ يعارَضُ بعضُها على بعضٍ ثم يوضعُ عليها شيء من الأمتعة. – لسان العرب .

(2) أخرجه أبو داوُد في سننه، كتاب الأدب، باب: اللعب بالبنات، حديث رقم: 4932، وابن حبان، باب: اللعب واللهو، حديث رقم: 5766. واستدل بهذا الحديث والذي قبله على جواز اتخاذ صور البنات واللعب من أجل لعب البنات بهن، وخص ذلك من عموم النهي عن اتخاذ الصور، وبه جزم عياض ونقله عن الجمهور، كما أنهم أجازوا بيع لعب للبنات لتدريبهن من صغرهن على أمر بيوتهن وأولادهن. قال وذهب بعضهم إلى أنه منسوخ، كذا في فتح الباري.

- عن هشام بنِ عُروةَ، عن أبيه عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ أنها سُئِلَتْ: مَا كَانَ النبيُّ ﷺ يَعْمَلُ فِي بَيْتِهِ؟ قالتْ: كان يَخِيطُ ثَوْبَهُ، ويَخْصِفُ نَعْلَهُ[1]، ويَعْمَلُ ما يَعْمَلُ الرِّجالُ فِي بُيوتِهِمْ»[2].

- عَنْ عُرْوَةَ عَنْ عَائِشَةَ ـ رضي الله عنها ـ، أَنَّ أَبَا بَكْرٍ دَخَلَ عَلَيْهَا وَعِنْدَهَا جَارِيَتَانِ فِي أَيَّامِ مِنىً تُغَنِّيَانِ وَتَضْرِبَانِ وَرَسُولُ اللهِ ﷺ مُسَجّىً بِثَوْبِهِ، فَانْتَهَرَهُمَا أَبُو بَكْرٍ فَكَشَفَ رَسُولُ اللّٰهِ ﷺ عَنْهُ وَقَالَ: «دَعْهُمَا يَا أَبَا بَكْرٍ فَإِنَّهَا أَيَّامُ عِيدٍ».

وَقَالَتْ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَسْتُرُنِي بِرِدَائِهِ وَأَنَا أَنْظُرُ إِلَى الْحَبَشَةِ، وَهُمْ يَلْعَبُونَ وَأَنَا جَارِيَةٌ، فَاقْدِرُوا قَدْرَ الْجَارِيَةِ الْعَرِبَةِ الْحَدِيثَةِ السِّنِّ».[3]

وعَنْه أيضاً: قَالَ: قَالَتْ عَائِشَةُ ـ رضي الله عنها ـ: وَاللّٰهِ لَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ يَقُومُ عَلَى بَابِ حُجْرَتِي، وَالْحَبَشَةُ يَلْعَبُونَ بِحِرَابِهِمْ فِي مَسْجِدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ يَسْتُرُنِي بِرِدَائِهِ لِكَيْ أَنْظُرَ إِلَى لَعِبِهِمْ، ثُمَّ يَقُومُ مِنْ أَجْلِي حَتَّى أَكُونَ أَنَا الَّتِي أَنْصَرِفُ فَاقْدِرُوا قَدْرَ الْجَارِيَةِ الْحَدِيثَةِ السِّنِّ، حَرِيصَةً عَلَى اللَّهْوِ»[4].

قولها: «رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَسْتُرُنِي بِرِدَائِهِ وَأَنَا أَنْظُرُ إِلَى الْحَبَشَةِ، وَهُمْ يَلْعَبُونَ وَأَنَا جَارِيَةٌ» وفي الرواية الأخرى: «يَلْعَبُونَ بِحِرَابِهِمْ، فِي مَسْجِدِ

(1) خَصَفَ النعل خرزها وقوله تعالى: ﴿وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة أي يلزقان بعضه ببعض ليسترا به عورتهما، وأصل الخصف الجمع والضم.

(2) أخرجه ابن حبان في صحيحه، باب: التواضع والكبر والعجب، حديث رقم: 5580

(3) أخرجه مسلم كتاب صلاة العيدين، باب: الرخصة في اللعب، الذي لا معصية فيه، في أيام العيد، برقم: 2013.

(4) أخرجه مسلم، كتاب صلاة العيدين، باب: الرخصة في اللعب الذي لا معصية فيه، في أيام العيد، حديث رقم: 2014.

رَسُولِ اللّهِ ﷺ» فيه جواز اللعب بالسلاح ونحوه من آلات الحرب في المسجد، ويلتحق به ما في معناه من الأسباب المعينة على الجهاد وأنواع البر، وفيه جواز نظر النساء إلى لعب الرجال من غير نظر إلى نفس البدن، وأما نظر المرأة بشهوة إلى وجه الرجل الأجنبي فحرام بالاتفاق، وإن كان بغير شهوة ولا مخافة فتنة ففي جوازه وجهان: أصحهما تحريمه لقوله تعالى: ﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنّ﴾ ولقوله ﷺ لأم سلمة وميمونة: «احْتَجِبَا مِنْهُ، فقالت أم سلمة ـ رضي الله عنها ـ: يَا رَسُولُ اللّه أَلَيْسَ هُوَ أَعْمَى لا يُبْصِرُنَا وَلاَ يَعْرِفُنَا؟ فَقَالَ رَسُولُ اللّه ﷺ: «أَفَعَمْيَاوَانِ أَنْتُمَا أَلَسْتُمَا تُبْصِرَانِهِ؟!»[2].

وبهذا أجابوا عن حديث عائشة بجوابين وأقواهما أنها لم تنظر إلى وجوههم وأبدانهم وإنما نظرت إلى لعبهم وحرابهم، ولا يلزم من ذلك تعمد النظر إلى البدن[3]، وإن وقع النظر بلا قصد صرفته في

(1) سورة النور من الآية : 31.

(2) أخرجه أبو داوود، كتاب: اللباس، باب: في قوله {وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنّ}برقم: 4112، وأخرجه الترمذي، كتاب: الاستئذان والأداب، باب: ما جاء في احتجاب النساء من الرجال، برقم: 2855، واللفظ له ، كما أخرجه أحمد ،حديث أم سلمة ـ رضي الله عنها ـ، برقم: 26131.

(3) قلت: لم ترد السيدة عائشة دوام النظر إليهم ، بل أرادت اختبار قدر محبة رسول الله ﷺ لها، ويتضح ذلك من رواية النسائي في السنن الكبرى، باب: الملاعبة ، حديث رقم: 8858 ولفظه : عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ، زوج النبي ﷺ: قالت: دخل الحبشة المسجدَ يلعبون، فقال لي: «يا حُمَيراء، أتحبين أن تنظري إليهم؟». فقلت: نعم، فقامَ بالباب، وجئتُه، فوضعتُ ذَقَنِي على عاتقه، فأسندتُ وجهي إلى خده، قالت: ومِن قولهم يومئذ: أبا القاسم طَيِّباً فقال رسول الله :«حسبُك»، فقلت: يا رسول الله، لا تعجل، فقام لي، ثم قال: «حسبك». فقلت: لا تعجل يا رسول الله، قالت: ومالي حبٌّ النظر إليهم، ولكني أحببت أن يبلغ النساءَ مقامُه لي، ومكاني منه.

الحال. والثاني ـ لعل هذا كان قبل نزول الآية في تحريم النظر ـ أنها كانت صغيرة.

قولها: «وأنا جارية فاقدروا قدر الجارية العربة حديثة السن» معناه أنها تحب اللهو والتفرج والنظر إلى اللعب حباً بليغاً، وتحرص على إدامته ما أمكنها ولا تمل ذلك إلا بعذر من تطويل. وفي قولها: فاقدروا بضم الدال وكسرها لغتان حكاهما الجوهري وغيره وهو من التقدير أي قدروا رغبتنا في ذلك إلى أن تنتهي. وقولها: العربة هو بفتح العين وكسر الراء والباء الموحدة ومعناها المشتهية للعب المحبة له»[1].

قال الحافظ بن حجر في الفتح: «قدر الجارية الحديثة السن» أي القريبة العهد بالصغر، وقد بينت في شرح المتن في العيدين أنها كانت يومئذ بنت خمس عشرة سنة أو أزيد.

واستدل قوم من الصوفية بحديث الباب على جواز الرقص، وسماع آلات الملاهي، وطعن فيه الجمهور باختلاف المقصدين، لأن لعب الحبشة بحرابهم كان للتمرين على الحرب فلا يحتج به للرقص في اللهو، والله أعلم[2].

حديث أم زرع:

- عن عروةَ عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ: قالت: «جَلَسَ إحدى عشرةَ امرأةً فَتَعاهَدْنَ وَتَعَاقَدْنَ ألّا يكتُمنَ من أخبار أزواجهنَّ شيئاً.

(1) شرح النووي لصحيح مسلم بتصرف .
(2) فتح الباري ج7 ص243.

قالت الأولى: زوجي لحمُ جَمَلٍ غَثٌّ[1] على رأس جَبَلٍ، لا سَهْلٍ فَيُرتَقَى، ولا سَمينٍ فيُنتَقلَ.

قالت الثانية: زوجي لا أَبُثُّ خَبرَهُ[2]، إني أخاف أن لا أَذَرَهُ[3]، إن أذكرْهُ أذكُرْ عُجَرَهُ وبُجَرَهُ[4].

قالت الثالثة: زوجي العَشَنَّقُ[5]، إنْ أَنْطِقْ أُطلَّقْ، وإن أسْكُتْ أُعلَّقْ.

قالت الرَّابِعَةُ: زَوْجِي كَلَيلِ تِهامةَ[6]، لا حَرٌّ ولا قُرٌّ[7] ولا مَخافَةَ ولا سآمة.

قالتِ الخَامِسَةُ: زوجي إذا دَخَلَ فَهِدَ، و إن خَرَجَ أَسِدَ، ولا يَسأَلُ عمَّا عَهِدَ.

---

(1) الغَثُّ: الرديءُ من كل شيء. ولَحْمٌ غثٌّ وغَثِيثٌ بَين الغُثوثةِ: مَهْزولٌ.

(2) أَبُثُّ: أنشر، زَوْجي لا أَبُثُّ خَبَره أي لا أَنْشُرُهُ لقُبْح آثاره.

(3) أَذَرَهُ: فيقال يَذَرُه ويَدَعُه وأصله وَذِرَهُ يَذَرُه مثال وَسِعَه يَسَعُه، ولا يقال واذِرٌ ولا وَادِعٌ، ولكن تركته فأنا تارك.

(4) عُجَرَهُ وبُجَرَهُ: الأعجر: الضخم الوسط من الناس، وقد عَجِزَ يَعْجَزُ عَجَزاً. والعُجْزَةُ: موضعُ العَجَر منه. والأَعْجَرُ: كل شيء ترى فيه عقدا. كيس أَعْجَرُ، وبطن أَعْجَرُ إذا امتلأ جداً. وبجره: والبُجَرُ العروق المتعقدة في البطن. والمراد: أي أُموره كلها باديها وخافيها، وقيل: أَسراره، وقيل: عيوبه.

(5) العَشَنَّقُ: هو الطويل الممتد القامة، أَرادت أَن له مَنْظَراً بلا مَخْبَرٍ لأَن الطول في الغالب دليل السَّفَه، وقيل: هو السيِّء الخلق؛ قال الأَزهري: تقول ليس عنده أَكثر من طوله بلا نفع، فإِن ذكرتُ ما فيه من العيوب طلَّقني، وإِن سَكَتُّ تركني معلقة لا أَيّماً ولا ذات بَعْلٍ.

(6) تهامة: اسم مكّة، والنّازل فيها: مُتْهِمٌ. ـ العين ـ، وفي تهذيب الأسماء واللغات: وهي اسم لكل ما نزل عن نجد من بلاد الحجاز ومكة من تهامة. وذكر الحافظ الحازمي في المؤتلف أنه يقال في جمع أرض تِهامة تهائم.

(7) القُرُّ: البَرْدُ عامةً، بالضم، وقال بعضهم: القُرُّ في الشتاء والبرد في الشتاء والصيف، يقال: هذا يومٌ ذو قُرَ أَي ذو بَرْدٍ ـ لسان العرب ـ.

obeikandl.com

قَالَتِ السَادِسَةُ: زوجي إن أكل لَفَّ[1]، وإن شرِبَ اشْتَفَّ[2]، وإنِ اضطَجَعَ الْتَفَّ، ولا يُولِجُ الكفَّ ليعلم البَثَّ[3].

قَالَتِ السابعَةُ: زوجي غَيَاياءُ[4] ـ أو عَيَاياءُ ـ[5] طَبَاقَاءُ[6]، كلُّ داءٍ لهُ داءٌ، شَجَّكِ[7] أو فلَّكِ[8] أو جَمَعَ كُلاًّ لكِ.

قَالَتِ الثامِنَةُ: زوجي المسُّ مسُّ أرنَبٍ، والرِّيح ريحُ زَرنَب[9].

قَالَتِ التاسعةُ: زوْجي رَفيعُ العماد، طويل النِّجادِ[10]، عظيم الرَّماد، قريب البيت من الناد. قالت العاشرة: زوجي مَالِكٌ ومَا مَالِكٌ، مَالِكٌ خيرٌ من ذلك، له إبلٌ كَثِيرَاتُ المَبارِكِ[11]، قليلات المسارح[12]، وإذا سَمعنَ

---

(1) لفّ اللام والفاء أصلٌ صحيح يدلُّ على تلوّي شيء على شيء. يقال: لَفَفْتُ الشّيءَ بالشّيء لفًّا، ولففت عِمامَتي على رأسي؛ ويقال: جاء القومُ ومَن لَفَّ لَفَّهم، أي من تأشَّبَ إليهم، كأنّه التفَّ بهم ـ مقاييس اللغة ـ.

(2) اشتف: يقال: تشافَفْت ما في الإناء واسْتَشْفَفْتُهُ إذا شربت جميع ما فيه. ولم تُبْقِ فيه شيئاً، وإن شرب اشْتَفَّ أي شرب جميع ما في الإناء ـ لسان العرب ـ.

(3) البَثُّ: شدَّة الحُزْن.

(4) الغَيايَةُ كل شيءٍ أَظَلَّ الإنسانَ فوق رَأْسِه، مثلُ السَّحابة والغَبَرة والظِّلِّ ونحوه.

(5) والعَيَاياءُ: من الإبِل: الذي لا يَضْرِبُ ولا يُلْقِحُ، وكذلك من الرِجال.

(6) طَباقاء: أحمق، وقيل هو الذي لا ينكح .

(7) الشَّجُّ : كسر الرأس. ـ لسان العرب ـ.

(8) الفلُّ: الكسر والضرب، تقول: إنها معه بين شجّ رأْس أَو كسر عُضو أَو جمع بينهما، وقيل: أَرادت بالفَلِّ الخصومة. ـ لسان العرب ـ.

(9) زرنب: الزرنب: نوع من أنواع الطيب، وقيل هو نبتٌ طيِّب الريح، وقيل هو الزعفران. ـ النهاية في غريب الحديث والأثر.

(10) النِّجاد: حمائِلُ السيف، تريد طول قامته فإنها إذا طالتْ طالَ نِجادُه، وهو من أَحسن الكنايات. ـ لسان العرب ـ.

(11) المبارك: وهو الموضع الذي تبرك فيه.

(12) المسارح: المراعي.

obeikandl.com

صَوْتَ المِزْهَرِ[1]، أيقنَّ أنهُنَّ هَوَالِكُ. قالت الحَادِيَةَ عشرةَ: زوجي أبو زَرْع فما أبو زرع، أناسَ من حُلِيٍّ أذنيَّ، وملأ من شحم عُضُدَيَّ، وبَجَّحَني[2] فَبَجِحَتْ إليَّ نَفْسِي، وَجَدَني في أهل غنَيْمةٍ بِشِقٍّ، فجعَلَني في أهل صَهيلٍ[3] وأَطِيطٍ[4]، ودائسٍ[5] ومُنَــقٍّ[6]، فعنْــدَهُ أقول فلا أُقَبَّحُ وأرْقُدُ فأتَصَبَّحُ، وأشــرَبُ فأتَقَنَّحُ[7]. أمُّ أبي زرع، فما أُمُّ أَبِي زَرْعٍ، عُكُومُها رَدَاحٌ[8]، وبيتُها

(1) المزهر: المِزْهَرُ: العودُ الذي يُضْرَبُ به في الغناء. أرادت أنّ زوجها عوّدَ إبِلَه إذا نزل به الضِّيفانُ أن يأتيهُم بالملاهي ويسقِيَهُم الشَّراب وينحر لهم الإبل، فإذا سمعن ذلك الصوت أيقنّت أنها منحورةٌ.

(2) بجحني: فَرَّحَني فَفرِحْتُ وقيل: عَظَّمني فَعَظُمَتْ نَفْسِي عندي. ـ لسان العرب ـ.

(3) الصَّهيل والصُّهال صوت الفرس مثل النَّهيق والنُّهاق.

(4) أطيط: صوتُ الرحل والإبلِ من ثِقَلِ أحمالها ـ الصحاح ـ.

(5) دائس: الدائس: الذي يَدُوسُ الطعامَ ويَدُقُّه ليُخْرِجَ الحَبَّ منه، وهو الدِّياسُ، وقلبت الواو ياء لكسرة الدال ـ لسان العرب ـ.

(6) «ومنق» قال الكرماني: هو الذي ينقيه من التبن ونحوه بالغربال، وقال بعضهم بكسر النون وتشديد القاف، قال أبو عبيد: لا أدري معناه، وأظنه بالفتح من تنقية الطعام. وقال صاحب (التلويح): المحدثون يقولونه بالكسر، وقال ابن أبي أويس: المنق، بالكسر: نقيق أصوات المواشي والأنعام، تصف كثرة ماله. وقال أبو سعيد النيسابوري: هو مأخوذ من نقيقة الدجاج، أي: أنهم أهل طير، وقال القرطبي: لا يقال لشيء من أصوات المواشي نق، وإنما يقال: نق الضفدع والعقرب والدجاج، ويقال في الهر: بقلة، وقال ابن السراج: ويجوز أن يكون منق بالإسكان إن كان روي، أي: وإنعام ذات نقي أي سمان. ـ عمدة القاري ـ ج20 ص168ـ.

(7) فأتقنح: أَي أَقطع الشرب وأَتَمَهَّلُ فيه؛ وقيل: هو الشرب بعد الرِّيِّ، وفي الرواية الأخرى فأتقمح: أَي أَرْوَى حتى أَدَعَ الشربَ؛ أَرادت أَنها تشرب حتى تَرْوَى وتَرْفَعَ رأْسَها؛ ويروى بالنون. قال الأَزهري: وأَصل التَّقَمُّح في الماء، فاستعارته للبن. أَرادت أَنها تَرْوَى من اللبن حتى ترفع رأْسها عن شربه كما يفعل البعير إِذا كره شرب الماء ـ لسان العرب ـ.

(8) «عُكومها رداحٌ» يقال امرأةٌ رداحٌ: ثقيلة الكفَل. والعكوم: الأعدال، جمع عِكْم، وصفها بالثِّقَل لكثرة ما فيها من المتاع والثياب، ويقال: رَدَاحٌ ورَدَاحَة ورَدُوحٌ: عَجْزاء ثقيلة الأَوراك تامَّة الخَلْق، وقال الأَزهري: ضخمة العجيزة والمآكِمِ ـ لسان الغرب ـ.

فَسَاحٌ. ابْنُ أبي زَرْع فما ابن أبي زرع مَضْجَعُهُ كمسَلِّ شَطْبَةٍ[1]، وَيُشْبِعُهُ ذِراع الجَفْرَةِ[2]. بنت أبي زرعٍ، فما بنت أبي زرع، طوعُ أبيها، وَطَوْعُ أُمِّها، وملْءُ كِسائها[3]، وغيظُ جارَتِها. جارِية أبي زرعٍ، فما جارية أبي زرع، لا تَبُثُّ حديثَنا تَبثيثاً ولاَّ تُنَقِّثُ مِيرَتَنَا[4] تَنْقِيثاً[5]، ولا تملأ بَيتَنَا تَعْشِيشاً[6]؛ قالت: خَرَج أبو زرعٍ والأَوْطابُ[7] تُمْخَضُ فَلقيَ امرأةً معها وَلَدان لها كالفَهْدَين يَلعبان من تحت خَصْرها برُمّانَتين، فَطلقني ونكحها، فتَكَحْتُ بعدَهُ رَجلاً سَرِياً، ركِب شَرِيّاً[8]، وأَخَذَ خَطِّياً، وأراح عليَّ نَعماً ثَرِيّاً، وأعطاني من كل رائحةٍ زوجاً، وقال: كلي أمَّ زرع، وميري أهلكِ، قالت: فلو جمعت كل شيء

(1) كمسَلِّ شَطْبَةٍ: الشَّطْبة: السَّعَفة من سَعَف النخلة ما دامت رَطْبة، أرادت أنه قليل اللَّحم دَقيقُ الخَصْر، فشبَّهته بالشَّطبة: أي مَوضعُ نومه دَقيقٌ لنحافته. وقيل أرادت بمسَلِّ الشَّطْبة سَيْفا سُلَّ من غمده. والمَسَلُّ مصدر بمعنى السَّلّ، أُقيم مُقام المفعول: أي كمَسْلُول الشّطبة، تَعني ما سُلَّ من قِشْره أو من غِمْده.

(2) الجفرة: «جَفْرَةٌ» الجفرة بفتح الجيم هي الأنثى من ولد الضأن التي بلغت أربعة أشهر وفصلت عن أمها، والعنز بفتح المهملة وسكون النون بعدها زاي الأنثى من المعز، الجمع أعنز وعنوز وعناز ـ نيل الأوطار ـ.

(3) وملْءُ كِسائها: كناية عن امتلاء جسمها وسمنها.

(4) المِيرَةُ: الطعامُ يَمْتارُه الإنسان.

(5) النَّقْثُ: النَّقْلُ؛ أرادت أنها أمينة على حفظ طعامنا، لا تنقله وتُخرجه وتُفرّقه.

(6) تعشيشاً يُقال: عَشَّشَ الطائر تَعْشِيشًا، أي اتَّخذ عُشّاً، هو بالعين المهملة أي لا تترك الكناسة والقمامة فيه مفرقة كعش الطائر بل هي مصلحة للبيت معتنية بتنظيفه، وقيل معناه لا تخوننا في طعامنا في زوايا البيت كأعشاش الطير.

(7) الأوطاب: الوَطبُ: الزِّقُّ الذي يكون فيه السَّمن واللبن وهو جِلدُ الجذع فما فوقه، وجمعه. أوطاب وَوِطاب. النهاية في الحديث والأثر.

(8) قال أبو عبيد: أرادت بقولها رَكِبَ شَرِيّاً أي فرساً يَسْتَشْرِي في سيرِه أي يَلِجُّ ويَمْضِي ويَجِدُّ فيه بلا فُتُورٍ ولا انْكِسارٍ، ومن هذا يقال لرجل إذا لَجَّ في الأَمرِ: قد شَرِيَ فيه واسْتَشْرَى؛ قال أبو عبيد: معناه جادُّ الجَرْي.

أعطانيهِ ما بلغ أصْغَر آنيةِ أبي زرع. قالت عائشة: قال رسول الله ﷺ: كنتُ لكِ كأبي زرع لأمِّ زرع.

قال سعيد بن سلمة قال هِشام: ولا تُعشِّشُ بيتَنَا تَعشيشاً. قال أبو عبد الله ـ هو الإمام البخاري نفسه ـ: وقال بعضُهُم فأتمَّحُ بالميم وهذا أَصَحُّ[1].

وفي رواية للطبراني في الكبير والهيثمي في مجمع الزوائد:

قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «يَا عَائِشَةُ كُنْتُ لَكِ كَأَبِي زَرْعٍ لأُمِّ زَرْعٍ، إِلاَّ أَنَّ أَبَا زَرْعٍ طَلَّقَ وَأَنَا لاَ أُطَلِّقُ»[2].

ومن رواية النسائي في السنن الكبرى: «...فقالت عائشة: بأبي أنت وأمي يا رسول الله، بل أنت خير إليَّ من أبي زَرْع»[3]..

قوله ﷺ: «كنتُ لكِ كأبي زرع لأمِّ زرع». تطبيباً لنفسها، وإيضاحاً لحسن عشرته إياها، ثم استثنى من ذلك الأمر المكروه منه أنه طلقها، وإني لا أطلقك، تتميماً لطيب نفسها وإكمالاً لطمأنينة قلبها ورفعاً للإبهام لعموم التشبيه بجملة أحوال أبي زرع إذا لم يكن فيها ما تذمه سوى طلاقه لها، وقول عائشة – رضي الله تعالى عنها –: بأبي أنت وأمي، بل أنت خير لي

(1) أخرجه البخاري، كتاب: النكاح باب: حسن المعاشرة مع الأهل، حديث رقم: 5189.

(2) جامع الأحاديث والمراسيل ج11 ص: 364، وأخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد، حديث رقم: 13506، وقال : رواه الطبراني، وفيه: من لم أعرفه، وعبد الجبار بن سعيد المساحقي، وثقه ابن حبان، وضعفه جماعة، وعبد العزيز بن محمد بن زبالة: لم أعرفه، وعبد الرحمن بن أبي الزناد فيه ضعف، وبقية رجاله ثقات، وقد تقدمت بقية طرقه في النكاح.

(3) من الحديث الذي أخرجه النسائي في السنن الكبرى، باب: حقوق الزوج، حديث رقم: 9047، ولقد رفع النسائي هذا الحديث لرسول الله ﷺ في هذه الرواية فجعل اجتماع النسوة من قول رسول الله ﷺ.

openkanal.com

من أبي زرع، جواب مثلها في فضلها، فإن سيدنا رسول الله ﷺ لما أخبرها أنه لها كأبي زرع لأم زرع، لفرط محبة أم زرع له وإحسانه لها، أخبرته هي أنه عندها أفضل وهي له أحب من أم زرع لأبي زرع[1].

شرح لغريب الألفاظ والمعاني في هذا الحديث:

قول الأولى: «زوجي لحمُ جَمَلٍ غَثٌّ على رأس جَبَلٍ، لا سهلٍ فيُرتقى، ولا سَمين فيُنتَقل».

قال أبو عبيد وسائر أهل الغريب والشراح: المراد بالغث المهزول، وقولها على رأس جبل وعر أي صعب الوصول إليه، فالمعنى أنه قليل الخير من عدة أوجه منها: كونه كلحم الجمل لا كلحم الضأن، ومنها: أنه مع ذلك غث مهزول رديء، ومنها: أنه صعب التناول لا يوصل إليه إلا بمشقة شديدة، هكذا فسره الجمهور.

وقال الخطابي: قولها على رأس جبل أي يترفع ويتكبر ويسمو بنفسه فوق موضعها كثيراً، أي أنه يجمع إلى قلة خيره تكبره وسوء الخلق، قالوا: وقولها «ولا سمين فينتقل» أي تنقله الناس إلى بيوتهم ليأكلوه بل يتركوه رغبة عنه لرداءته. قال الخطابي: ليس فيه مصلحة يحتمل سوء عشرته بسببها، يقال: أنقلت الشيء بمعنى نقلته. وروي في غير هذه الرواية «ولا سمين فينتقى» أي يستخرج نقيه والنقي بكسر النون وإسكان القاف هو المخ يقال: نقوت العظم ونقيته وانتقيته إذا استخرجت نقيه[2].

(1) عمدة القاري ج20 ص168.

(2) شرح النووي ج15 ص 178.

obeikandl.com

وقول الثانية: «زوجي لا أَبُثُّ خَبرَه، إني أخاف أن لا أَذَرَه، إن أذكرْهُ أذكُرْ عُجَرَهُ وبُجَرَه».

«لا أَبُثُّ» من البث بالباء الموحدة والثاء المثلثة وهو الإظهار والإشاعة، قولها: «إني أخاف أن لا أذره» فيه تأويلان لأن الهاء إما عائدة إلى الخبر أي خبره طويل إن شرعت في تفصيله لا أقدر على إتمامه لكثرته، أو إلى الزوج وتكون: لا، زائدة أي: أخاف أن يطلقني فأذره، أي: فأتركه.

وقولها: « أذكُرْ عُجَرَهُ وبُجَرَه ».

جواب: إن، والعجر، بضم العين المهملة وفتح الجيم، والبجر بضم الباء الموحدة وفتح الجيم، والمراد بهما: عيوبه، والمشهور في الاستعمال أن يراد به الأمور كلها، وقيل: العجرة نفخة في الظهر والبجرة نفخة في السرة، ويقال: العجر معقد العروق والعصب في الجسد حتى تراها ناتئة في الجسد، والبجر كذلك إلاَّ أنها مختصة بالبطن فيما ذكره الأصمعي، وأحدها بجرة، ومنه قيل: رجل أبجر إذا كان عظيم البطن، وامرأة بجـــراء، ويقال: الفلان بجرة إذا كان ناتىء السرة عظيمها، وقال الأخفش: العجر عقد تكون في سائر البدن، أما البجر فتكون في القلب، وقال أبو سعيد النيسابوري: لم يأت أبو عبيدة بالمعنى في هذا، وإنما عنت أن زوجها كثير العيوب في أخلاقه منعقد النفس عن المكارم، وقال ابن فارس: يقال في المثل: أفضيت إليه بعجري وبجري أي: بأمري كله، وعن الأصمعي: يستعمل ذلك في المعائب، أي: ذكر عيوبه، وقال يعقوب: أسراره، وعبارة غيره: عيوبه الباطنة وأسراره الكامنة، وعن علي ﷺ، في

وقعة الجمل: «إلى الله أشكو عجري وبجري» أي: همومي وأحزاني، وقيل: العجر ظاهرها والبجر باطنها.[1]

وقول الثالثة: «زوجي العَشَنَّقُ، إن أنطق أُطلَّقْ، وإن أسكُت أُعلَّق».

قولها: «العَشَنَّقُ» بفتح العين المهملة والمعجمة وفتح النون المشددة، وبالقاف، وقال أبو عبيدة وجماعة: هو الطويل، وزاد الثعالبي: المذموم الطول، وقال الخليل: هو طويل العنق، وقال ابن حبيب: هو المقدام على ما يريد الشرس في أموره، وقيل: السيء الخلق، وقال الأصمعي: أرادت أنه ليس عنده أكثر من طوله بلا نفع، ويجمع على: عشانقة، والمرأة عشنقة، وقال أبو سعيد الضرير: الصحيح أن العشنق الطويل النجيب الذي يملك أمر نفسه ولا يحكم النساء فيه، بل يحكم فيهن بما شاء، فزوجته تهابه أن تنطق بحضرته فهي تسكن على مضض. قال الزمخشري: وهي الشكاية البليغة، فقوله: «إن أنطق أطلق» يعني: إن ذكرت عيوبه يطلقني أما «وإن أسكت أعلق» فيعني: أنه يتركني لا عزباً ولا مزوجة، كما في قوله تعالى: ﴿فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ[2]﴾ فكأنها قالت: أنا عنده لا ذات زوج فانتفع به ولا مطلقة فأتفرغ لغيره. فهي كالمعلقة بين العلو والسفل لا تستقر بأحدهما، وكل واحد من قولها: «أُطلَّقْ» و«أُعلَّق» على صيغة المجهول مجزومان لأنهما جواب الشرط[3].

وقول الرابعة: «زوجي كليل تِهامَة، لا حَرٌّ ولا قُرٌّ ولا مَخافَةَ ولا سآمة».

---

(1) عمدة القاري ج 20 ص 168.

(2) سورة النساء: من الآية 129.

(3) المرجع السابق نفسه.

قال الإمام النووي: هذا مدح بليغ ومعناه أن ليس فيه أذى بل هو راحة ولذاذة عيش كليل تهامة لذيذ معتدل ليس فيه حر ولا برد مفرط، ولا أخاف له غائلة لكرم أخلاقه، ولا يسأمني ويمل صحبتي.

وقال ابن الأنباري: أرادت بقولها «ولا مخافة» أن أهل تهامة لا يخافون لتحصنهم بجبالها، أو أرادت أن زوجها حامي الذمار[1] مانع لداره وجاره ولا مخافة عند من يأوي إليه، ثم وصفته بالجود.

وقول الخامسة: «زوجي إذا دَخَلَ فَهِدَ، وإن خَرَجَ أسِدَ، ولا يَسألُ عما عَهد».

قولها: «إذا دَخَلَ فَهِدَ»، أي: إن دخل البيت فَهِدَ بكسر الهاء أي: فعل فعل الفهد، شبهته بالفهد في كثرة نومه، يعني إذا دخل البيت يكون في الاستراحة معرضاً عما تلف من أمواله وما بقي منها. وقيل: معنى فهد أنه إذا دخل البيت وثب عليَّ وثوب الفهد، كأنها تريد المبادرة إلى الجماع، وقولها: «وإن خَرَجَ أسِدَ» أي: وإن خرج من البيت أسد بكسر السين يعني: فعل فعل الأسد؛ تصفه بالشجاعة يعني: إذا صار بين الناس كان الأسد، يعني: سهل مع الأحباء صعب على الأعداء كقوله تعالى: {**أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ**}[2] وقال ابن السكيت: تصفه بالنشاط في الغزو، وقال عياض: فيه مطابقة لفظية بين دخل وخرج، وبين أسد وفهد مطابقة معنوية، وتسمى أيضا المقابلة، وأما قوله: «ولا يسأل عما عهد» فيدل على أنه: لا يتفقد ما ذهب من ماله ولا يلتفت إلى معائب البيت وما فيه، كأنه ساهٍ عن ذلك[3].

(1) الذمار: يُقال الذمار ما وراء الرجل مما يحق عليه أن يحميه من حرم وأهل وحوزة – لسان العرب –.

(2) سورة الفتح: من الآية 29.

(3) المرجع السابق نفسه.

obeikandi.com

وقول السادسة: «زوجي إن أكل لَفَّ، وإن شرِبَ اشتفَّ، وإن اضطَجَعَ الْتفَّ، ولا يُولجُ الكفَّ ليعلم البثَّ».

قولها: «إن أكل لَفَّ» باللام والفاء المشددة فعل ماض من اللف وهو الإكثار من الطعام مع التخليط من صنوفه حتى لا يبقى منه شيئاً.

وقولها: «وإن شرِبَ اشتفَّ» من الاشتفاف بالفاءين، وهو أن يستوعب جميع ما في الإناء مأخوذ من الشفافة بضم الشين المعجمة وهي اسم ما بقي في الإناء من الماء فإذا شربه قيل: اشتفه، وقولها: «وإن اضطَجَعَ الْتفَّ» من الالتفاف، يعني: إذا نام التف في ثيابه في ناحية، قولها: «ولا يولج الكف» أي: لا يدخل كفه؛ معناه لا يمد يده ليعلم ما هي عليه من الحزن، وهو معنى قولها: « ليعلم البث» بفتح الباء الموحدة وتشديد الثاء المثلثة وهو الحزن، وقال الخطابي: معناه أنه يتلفف منتبذاً عنها ولا يقرب منها فيولج كفه داخل ثوبها فيكون منه إليها ما يكون من الرجل لامرأته، ومعنى البث ما تضمر من الحزن على عدم الحظوة منه، وقال أبو عبيد: أحسبها كان بجسدها عيب أو داء يحزن به، وكأنه لا يدخل يده في ثوبها لئلا يلمس ذلك فيشق عليها، فوصفته بالمروءة وكرم الخلق، ورد عليه ابن قتيبة بأنها قد ذمته في صدر الكلام فكيف تمدحه في آخره؟ فقال ابن الأنباري: الرد مردود، لأن النسوة تعاقدن أن لا يكتمن شيئاً مدحاً أو ذماً، فمنهن من كانت أوصاف زوجها كلها حسنة فوصفته بها، ومنهن بالعكس، ومنهن من كانت أوصافه مختلطة منهما فذكرتهما كليهما[1].

وقول السابعَة: «زوجي غَيَاياءُ ـ أو عَيَاياءُ ـ طَباقاء، كلُّ داءٍ لهُ داءٌ، شَجَّكِ أو فلَّكِ أو جَمَعَ كُلاًّ لكِ».

(1) عمدة القاري بتصرف.

هكذا وقع في هذه الرواية غياياء بالغين المعجمة أو عياياء بالمهملة وفي أكثر الروايات بالمعجمة، وأنكر أبو عبيد وغيره المعجمة وقالوا: الصواب المهملة وهو الذي لا يلقح، وقيل: هو العنين الذي تعييه مباضعة النساء ويعجز عنها. وقال القاضي وغيره: غياياء بالمعجمة صحيح وهو مأخوذ من الغياية وهي الظلمة وكل ما أظل الشخص ومعناه لا يهتدي إلى سلك، أو أنها وصفتـه بثقل الروح وأنه كالظل المتكاثف المظلم الذي لا إشـراق فيه،

أو أنها أرادت أنه غطيت عليه أموره، أو يكون غياياء من الغي وهو الانهماك في الشر أو من الغي الذي هو الخيبة، قال الله تعالى: **{فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا}**[1]. وأما «طَباقاء» فمعناه المطبقة عليه أموره حمقاً، وقيل: الذي يعجز عن الكلام فتنطبق شفتاه، وقيل: هو العيي الأحمق، وقولها: «شَجَّكِ» أي جرحك في الرأس فالشجاج جراحات الرأس والجراح فيه وفي الجسد، وقولها: «فلَّكِ» الفل الكسر والضرب ومعناه أنها معه بين شج رأس وضرب وكسر عضو أو جمع بينهما، وقيل: المراد بالفل هنا الخصومة.

وقولها: «كلُّ داءٍ لهُ داءٌ» أي جميع أدواء الناس مجتمعة فيه[2].

وقول الثامِنة: «زوجي المسُّ مسُّ أرنَبٍ، والرِّيح ريحُ زَرنَب».

الزرنب نوع من الطيب معروف، قيل: أرادت طيب ريح جسده، وقيل: طيب ثيابه في الناس، وقيل: لين خلقه وحسن عشرته، والمس مس أرنب صريح في لين الجانب وكرم الخلق.

وقول التاسعة: «زوْجي رَفيعُ العماد، طويل النِّجادِ، عظيم الرَّماد، قريب البيت من الناد».

(1) سورة مريم من الآية :59.

(2) شرح النووي لصحيح مسلم.

قال الإمام النووي : هكذا هو في النسخ النادي بالياء وهو الفصيح في العربية لكن المشهور في الرواية حذفها ليتم السجع. قال العلماء: معنى رفيع العماد وصفه بالشرف وسناء الذكر، وأصل العماد عماد البيت وجمعه عمد وهي العيدان التي تعمد بها البيوت أي بيته في الحسب رفيع في قومه، وقيل: إن بيته الذي يسكنه رفيع العماد ليراه الضيفان وأصحاب الحوائج فيقصدوه وهكذا بيوت الأجواد[1].

وقول العاشرة: «زوجي مالِكٌ وما مالِكٌ، مالِكٌ خيرٌ من ذلك، له إبلٌ كثيراتُ المَبارِكِ، قليلات المسارح، وإذا سَمعنَ صَوْتَ المِزْهر، أيقنَّ أنهُنَّ هَوَالِك»..

قال الإمام العيني في عمدة القاري : قولها «زوجي مالِكٌ وما مالِكٌ» أرادت بهذه الألفاظ تعظيم زوجها لأن كلمة: ما استفهامية وفيها معنى التعظيم والتهويل، وحقيقة: ما مالك، أي: ما هو، أي: أي شيء هو ما أعظمه وأكبره وأكرمه مثل قوله ـ عز وجل ـ: {الْحَاقَّةُ ۝١ مَا الْحَاقَّةُ} {الْقَارِعَةُ ۝١ مَا الْقَارِعَةُ}[3] أي: أي شيء هو ما أعظم أمرها وأهولها. وقولها: «مالِكٌ خيرٌ من ذلك» زيادة في التعظيم وتفسير لبعض الإبهام وأنه خير مما أشير إليه من ثناء وطيب ذكر وفوق ما أعتقده فيه من سؤدد وفخر قولها: «ذلك» إشارة إلى: مالك، أي: خير من كل مالك، والتعميم يستفاد من المقام أو هو نحو: تمرة خير من جرادةٍ أي كل تمرة خير من كل جرادة، أو هو إشارة إلى ما في ذهن المخاطب، أي: مالك خير مما في ذهنك من مالك الأموال.

(1) المرجع السابق نفسه.
(2) سورة الحاقة: 1 ـ 2.
(3) سورة القارعة 1– 2.

وقال الإمام النووي: ومعناه أن له إبلاً كثيراً فهي باركة بفنائه لا يوجهها تسرح إلا قليلاً قدر الضرورة ومعظم أوقاتها تكون باركة بفنائه، فإذا نزل به الضيفان كانت الإبل حاضرة فيقريهم من ألبانها ولحومها، والمِزهر بكسر الميم العود الذي يضرب، أرادت أن زوجها عوّد إبله إذا نزل به الضيفان نحر لهم منها وأتاهم بالعيدان والمعازف والشراب، فإذا سمعت الإبل صوت المزهر علمن أنه قد جاءه الضيفان وأنهن منحورات هوالك، هذا تفسير أبي عبيد والجمهور، وقيل: مباركها كثيرة لكثرة ما ينحر منها للأضياف، قال هؤلاء: ولو كانت كما قال الأولون لماتت هزالاً وهذا ليس بلازم فإنها تسرح وقتاً تأخذ فيه حاجتها ثم تبرك بالفناء، وقيل: «كثيرات المبارك» أي مباركها في الحقوق والعطايا والحمالات والضيفان كثيرة ومراعيها قليلة لأنها تصرف في هذه الوجوه، قاله ابن السكيت. قال القاضي عياض: وقال أبو سعيد النيسابوري: إنما هو إذا سمعن صوت المُزهر بضم الميم وهو موقد النار للأضياف قال: ولم تكن العرب تعرف المزهر بكسر الميم الذي هو العود إلا من خالط الحضر، قال القاضي: وهذا خطأ منه لأنه لم يروه أحد بضم الميم ولأن المزهر بكسر الميم مشهور في أشعار العرب ولأنه لا يسلم له أن هؤلاء النسوة من غير الحاضرة فقد جاء في رواية أنهن من قرية من قرى اليمن[1].

وقول الحاديةَ عشرةَ:

قولها: «زوجي أبو زَرْع فما أبو زرع؟»، هو كقول العاشرة: مالك وما مالك؟ أخبرت أولاً أن زوجها أبو زرع، ثم عظمت شأنه بقولها: فما أبو زرع؟ يعني: إنكن لا تعرفنه لأنكن لم تعهدن مثله.

(1) شرح النووي لصحيح مسلم .

قولها: «أَنَاسَ من حُلِيٍّ أُذُنَيَّ»، النَوْسُ: تذبذبُ الشيء.

والحُلِيّ بضم الحاء المهملة وكسر اللام وتشديد الياء جمع: حَلْي، بفتح الحاء وسكون اللام وتخفيف الياء، وهو اسم لكل ما يتزين به من مصاغ الذهب والفضة، «وأذنيَّ» بتشديد الياء، تثنية أذن، أرادت: ملأ أذني بما جرت به عادة النساء من التحلي به في الأذن من القرط وهو الحلق من ذهب وفضة ولؤلؤ ونحو ذلك، وقال ابن السكيت: معنى أناس: أثقل أذني حتى تدلى .

وقولها: «وملأ من شحم عُضُدَيَّ»، العضد في اللغة: ما بين الكَتِفِ والمِرْفَقِ ويُقال: فُلانٌ عَضُدِي، أي الذي يَعْضُدُني ويُقَوِّيني، وأرادت: الجسد كله فإنه إذا سَمِنَ العضد سمن سائر الجسد.

وقولها: «وبَجَّحَني فَبَجِحَت إليَّ نفسي»، أَي فَرَّحَني فَفرِحْتُ وقيل: عَظَّمني فَعَظُمَتْ نَفْسِي عندي.

وقولها: «وَجَدَني في أهل غُنَيْمةٍ بشقٍّ، فجعَلَني في أهل صَهيل وأَطِيط، ودائسٍ ومُنَقٍّ»، أي وجدني بمكان أو بشِق نرعى الغنم «وغُنَيْمةٍ» مصغر غنم،فأخذني «في أهل صهيل»، أي: أصحاب صهيل وهو صوت الخيل «وأطيط» وهو أصوات الإبل يعني: أنه ذهب بها إلى أهله وهم أهل خيل وإبل.

«ودائسٍ ومُنَقٍّ»، يُقال : داسَ الناسُ الحَبَّ وأَداسُوه: دَرَسُوه، والدائس: الذي يَدُوسُ الطعامَ ويَدُقُّه ليُخْرِجَ الحَبَّ منه، وهو الدِّياسُ، وقلبت الواو ياء لكسرة الدال، ومنق هو بضم الميم وفتح النون وتشديد القاف ومنهم من يكسر النون والصحيح المشهور فتحها، قال القاضي: روايتنا فيه بالفتح

ثم ذكر قول أبي عبيد قال: وقاله ابن أبي أويس بالكسر وهو من النقيق كما أنه يطلق على أصوات المواشي لتصف صاحبها بكثرة أمواله ويكون منق من أنق إذا صار ذا نقيق أو دخل في النقيق، والصحيح عند الجمهور فتحها والمراد به الذي ينقي الطعام أي يخرجه من بيته وقشوره، وهذا أجود من قول الهروي: هو الذي ينقيه بالغربال، والمقصود أنه صاحب زرع ويدوسه وينقيه[1].

أما قولها: «فعِنْدَهُ أقول: فلا أقبَّح وأَرْقدُ فأتَصَبَّحُ». معناه لا يقبح قولي فيرد بل يقبل مني، ومعنى أتصبح: أنام الصبحة وهي بعد الصباح أي أنها مكتفية بمن يخدمها فتنام. «وأشرَبُ فأتقنَّح» معناه: أقطع الشرب وأتمهل فيه، وقيل: هو الشرب بعد الري ، وفي الرواية الأخرى فأتقمح معناه: أَرْوَى حتى أَدَعَ الشربَ؛ أَرادت أَنها تشرب حتى تَرْوَى وتَرْفَعَ رأْسَها.

أما قولها: «أمُّ أبي زرع، فما أم أبي زرع، عُكُومُها رَدَاحٌ، وبيتُها فَسَاح».

فالعكوم: الأعدال، جمع عِكْم، وقيل: العُكوم: الأحمال والأعدال التي فيها الأوعية من صُنوف الأطعمة والمتاع، واحِدها عِكْم وصفتها بالثِّقَل لكثرة ما فيها من المتاع والثياب، ويقال امرأَةٌ رداحٌ: ثقيلة الكفَل وأرادت بقولها هذا كثرة الخير والنعمة.

وقولها: «ابن أبي زرع فما ابن أبي رزع، مَضجَعُهُ كمسَلِّ شَطْبَةٍ، وَيُشْبعُهُ ذِراع الجَفرَةِ». كمسَلِّ شَطْبَة: الشَّطْبة: السَّعَفة من سَعَف النخلة ما دامت رَطْبة، أرادت أنه قليل اللَّحم دَقيقُ الخَصْر، فشبَّهته بالشَّطبة: أي مَوضعُ نومه دَقيقٌ لنحافته، وقيل: أرادت بمسَلِّ الشَّطْبة سَيْفاً سُـلَّ من غِمـده.

(1) شرح النووي لصحيح مسلم.

والمَسَلُّ مصدر بمعنى السَّلّ، أُقيم مُقام المفعول: أي كمَسْلُول الشّطبة، تَعني ما سُلَّ من قِشْره أو من غِمْده[1].

«وَيُشْبِعُهُ ذِراع الجَفرَةِ». «الجَفْرَة» الجفرة بفتح الجيم هي الأنثى من ولد الضأن التي بلغت أربعة أشهر وفصلت عن أمها، والعَنْز بفتح العين المهملة وسكون النون بعدها زاي الأنثى من المعز، الجمع أعنز وعنوز وعناز.

وفيما قالته وصفته بالعقل والقناعة فكان العقلاء في الجاهلية والإسلام يتمدحون بقلة الأكل ويذمون بكثرته.

قولها: عن جارية أبي زرع: «لا تَبُثُّ حديثَنا تَبْثيثاً ولاَّتُنَقِّثُ مِيرتَنا تنقيثاً» أرادت أمانتها وعدم نشرها لأي سر من أسرار عائلة أبي زرع وبأنها لا تسرع في الميرة بالخيانة، والميرة: الزاد والأصل ما يكسبه البدوي من الحضر فيحمله إلى منزله لينتفع به، والنَّقث: النَّقل، أرادت أنَّها أمينةٌ على حفظ طعامنا، لا تنقلُه وتُخرجه وتُفرّقه، «ولا تملأ بَيتَنَا تَعشيشاً». أَرادت لا تملأُ بيتَنا بالمَزابل كأَنه عُشُّ طائر.

وقولها: «خَرَج أبو زرعٍ والأَوْطابُ تُمْخَضُ فَلقيَ امرأةً معها وَلَدان لها كالفَهْدَين يَلعبان من تحت خَصْرها برُمّانَتين، فَطلقني ونكحها». الوَطبُ: الزِّقُّ الذي يكون فيه السَّمن واللبن وهو جِلدُ الجذع فما فوقه، وجمعه: أوطاب وَوِطاب، أما قولها: «فَلقيَ امرأةً معها وَلَدان لها كالفَهْدَين يَلعبان من تحت خَصْرها برُمّانَتين» فقد قال الإمام النووي: «معناه أنها ذات كفل عظيم فإذا استلقت على قفاها نتأ الكفل بها من الأرض حتى تصير تحتها فجوة يجري فيها الرمان، قال القاضي: قال بعضهم المراد بالرمانتين هنا

(1) النهاية في غريب الحديث والأثر.

ثدياها، ومعناه أن لها نهدين حسنين صغيرين كالرمانتين، قال القاضي: هذا أرجح ولا سيما أنه قد روي من تحت صدرها ومن تحت درعها، ولأن العادة لم تجر برمي الصبيان الرمان تحت ظهور أمهاتهم، ولا جرت العادة أيضاً باستلقاء النساء كذلك حتى يشاهده منهن الرجال[1].

قولها: « فنَكَحْتُ بعدَهُ رَجلاً سَرِياً، ركِب شَرِيّاً وأَخَذَ خَطِّياً، وأراح عليَّ نَعماً ثَرياً، وأعطاني من كل رائحةٍ زوجاً، وقال: كلي أمَّ زرع، وميري أهلكِ، قالت: فلو جمعت كل شيء أعطانيهِ ما بلغ أصْغَر آنيةِ أبي زرع».

معناه: تزوجت بعد أبي زرع «رجلاً شرياً» أي رجلاً شريفاً في قومه ركب فرساً يلج ويمضي بلا فتور وكان كريماً معي فأعطاني من كل النعم والعبيد والإماء زوجاً، ومع ذلك لو جمعت كل ما أعطانيه ووضعته في أصغر وعاء من أوعية أبي زرع ما ملأه.

فوائد كُثُر في هذا الحديث يجب علينا أن نذكرها وألّا تمر علينا مرور الكرام؛ منها:

- ذكر محاسن النساء للرجال إذا كن مجهولات بخلاف المعينات، فهذا منهي عنه لقوله ﷺ: ولا تصف المرأة المرأة لزوجها حتى كأنه ينظر إليها.
- جواز إعلام الرجل بمحبته للمرأة إذا أمن عليها من هجر وشبهه.
- ومن الفوائد أيضاً ما يدل على التكلم بالألفاظ العربية والأسجاع، وإنما يكره من ذلك التكلف.

(1) شرح النووي لصحيح مسلم.

- ومنها أيضاً: التأسي بأهل الإحسان من كل أمة، ألا يرى أن أم زرع أخبرت عن أبي زرع بجميل عشرته، فامتثله النبي ﷺ قال عياض: وهذا عندي غير مسلم، لأننا لا نقول إن سيدنا رسول الله ﷺ اقتدى بأبي زرع، بل أخبر أنه لها كأبي زرع. وأعلم أن حاله معها مثل حاله ذلك لا على التأسي به، وأما قوله بجواز التأسي بأهل الإحسان من كل أمة فصحيح ما لم تصادمه الشريعة.

- ومنها: شكر المرأة إحسان زوجها.

- ومنها: مدح الرجل في وجهه بما فيه إذا علم أن ذاك غير مفسد له ولا مغير نفسه، والنبي ﷺ، مظنة كل مدح ومستحق كل ثناء، وأن من أثنى بما أثنى فهو فوق ذلك كله.

- ومنها: أن كنايات الطلاق لا يقع بها الطلاق إلاَّ بالنية، لأن النبي ﷺ قال: كنت لك كأبي زرع، ومن جملة أفعال أبي زرع أنه طلق امرأته أم زرع، ولم يقع على النبي ﷺ طلاق لتشبهه لكونه لم ينوِ الطلاق كما جاء في رواية النسائي: «إلا أن أبا زرع طلق أم زرع، وَأَنَا لاَ أُطَلِّقُ»[1].

(1) عمدة القاري ج20 ص 168 بتصرف.

opeikan.com